

العذراء مريم - الأم المثالية

إن حياة مريم العذراء تصلح أن تكون مثلاً يُحتذى ودروساً نتعلم منها ممن وجدت نعمة في عيني الله ، فانعم عليها بأن يولد المسيح المنتظر منها دون كل النساء اللواتي كن يأملن ، على مر العصور ، أن يكنّ أماً للمسيح ، قالت "فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني لأن القدير صنع بي عظام وأسمه قدوس" (لوقا ١: ٤٩، ٤٨)

١. قد آمنت بقدرة الله على صنع المعجزات معها ومع غيرها "لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله" (لوقا ١: ٣٧) الأيمان والتصديق بأمور غير طبيعية وفوق مستوى العقل البشري، وان الله قادر من العدم ان يخلق الأشياء. اي ان الله قادر ان يجعل امرأة تحبل دون مشيئة جسد. كما قال بولس في رومية ٤: ١٧ عن ابراهيم الذي اقام الله منه نسل وهو عجوز. ٢

٢. قد تواضعت وأطاعت الله طاعة عمياء فقبلت أن تحبل بقوة الروح القدس ، ورضيت بإرادة الله التي وثقت أنها إرادة صالحة لحياتها ، لقد كانت مستعدة أن تحتل تعبيرات الناس واتهاماتهم من أجل المسيح ، كان ممكن أن تفقد خطيئها يوسف واحترام الناس ، لكنها حملت صليها "فقال مريم ها أنا ذا أمة الرب ، ليكن لي بحسب قولك" (لوقا ١: ٣٨) واعترافها "أنا أمة الرب" زادها تواضعاً، تواضعت فرفع الله من قدرها.

٣. لم تركز على ذاتها ولم تعتز بنفسها وإنما زادتها نعمة الله عليها تعظيماً للرب نفسه "فقال مريم تعظم نفسي الرب" (لوقا ١: ٤٦) ، لقد وجدت فرحتها في الرب وليس في العالم ، لأن الرب وحده يستحق أن نوجه عواطفنا إليه ونكرس له حياتنا، لأنه مصدر خلاصنا ، "وتبتهج روجي بالله مخلصي" (لوقا ١: ٤٧) ليت البشر يعترفون بحاجتهم للخلاص كما فعلت القديسة المباركة ، وليتهم يقبلون هذا الخلاص من الله المخلص الوحيد ، إننا لا نملك إلا أن نطوبها أي نهنتها على ما فعله الله لها "فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني ، لأن القدير صنع بي عظام وإسمه قدوس" (لوقا ١: ٤٩، ٤٨)

٤. كانت أماً مثالية تتولى بعناية فائقة كل أمور أبنها بنفسها على الرغم من تعب السفر من بيت لحم الى مصر ذهاباً وإياباً والألم ومشاق السفر " فولدت إبنا البكر وقمطته وأضجعتة في المذود" (لوقا ٢: ٧) كما كرست إبنا لله " ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى اورشليم ليقدموه للرب ، كما هو مكتوب في ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب ، ولكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب زوج يمام أو فرخي حمام" (لوقا ٢: ٢٢-٢٤).

٥. لقد كانت مطيعة لوصايا الله بكل تدقيق ، وليت الأمهات يتعلمن منها ، لقد كانت لديها حساسية عالية للروح القدس ، وتميزت بفهم واضح لطرق الله ومعاملاته مع البشر (لوقا ١: ٤٦-٥٥) وكانت مهمته بصورة خاصة في

حفظ كل كلام يقوله الوحي الإلهي عن يسوع المسيح لتزداد فهماً له " وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها " (لوقا ٢ : ١٩) .٦

٦. كانت سريعة في فهم الدروس الروحية التي يعلمها لها إبنها وإلهها ومخلصها ، فعندما أوحى إليه بطريقة غير مباشرة بضرورة أن يدبر خمراً لتسديد حاجة المدعوين في بيت العرس في قانا الجليل ، أجابها بحزم ومحبة واحترام " مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد " (يوحنا ٢ : ٤) لقد فهمت أن الله يرفض تدخل البشر في أعماله الإلهية فقد يعرف البشر الحاجة ، ولكنه هو وحده يعرف كيفية تسديدها والتوقيت المناسب لتحركه ، لهذا سارعت إلى القول للخدام " مهما قال لكم فافعلوه " (يوحنا ٢ : ٥) لقد تمثلت عظمة مريم في كل المواقف أنها تشير إلى الله وضرورة تمجيده وطاعته .

٧. كانت امرأة مواظبة على الصلاة مع غيرها من جماعة المؤمنين " هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبية مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته " (أعمال ١ : ١٤) هذه هي صورة مريم المشرقة كما نقلها إلينا بكل أمانة تلاميذ المسيح ورسله الأوائل المؤمنون على رسالة الإنجيل ، ولا يمكننا إلا أن ننظر إليها كما ينظر إليها الله ، وكما رسمها الكتاب المقدس دون زيادة أو نقصان ، لئلا نكون ملومين في عدم إحترامها أو مغالين في تقديرها. كان إيمان العذراء يتصف بثلاث صفات:

أ- إيمان بلا شك: عندما بشر جبرائيل الملاك العذراء بميلاد المسيح قالت له مريم : "...ليكن لي كقولك..." (لو ١: ٣٨) لقد فاقت العذراء الكثير من القديسين و القديسات فهودا سارة عندما سمعت بشارة الملائكة بميلاد إسحق ضحكت و قالت " ..أبعد فنأى يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ.." (تك ١٨: ١٢). ليس سارة فقط لكن هذا توما الرسول يشك في قيامة السيد المسيح من بين الأموات، و بطرس الرسول الذي إشتهر بكلمة : " إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك" قال له السيد المسيح : " ...يا قليل الإيمان لماذا شككت... مع ان العذراء مريم سألت الملاك : "...كيف يكون هذا..." إلا إنها حينما رد عليها الملاك: "...الروح القدس يحل عليك.. لم تتساءل للمرة الثانية بل آمنت و قالت: "...ليكن لي كقولك..."

ب- إيمان بلا جدال: هناك الكثير من النعم التي نفقدها إذا جادلنا و ناقشنا و سألنا بعقلنا الجسدي وحكمتنا البشرية. لم يكن غريباً ان عاقراً تلد و لكن الغريب ان تلد عذراء لهذا قال الرب على لسان أشعيا النبي العظيم: "...يعطيكم السيد نفسه آية، ها العذراء تحبل و تلد ابناً..." (أش ٧: ١٤) ومعروفة قصة سمعان الشيخ و تفكيره في هذه الآية. هناك الكثير من أنبياء العهد القديم قد طلبوا من الرب علامات: موسى النبي حين أرسله الله و أعطاه علامات تحويل العصا الى حية و تحويل يده السليمة الى برصاء (خر ٤). جدعون و علامة جزة الصوف (قض ٦). حزقيا الملك و رجوع ظل الشمس

١٠ درجات (٢ مل ٢٠: ٩) زكريا الكاهن و عقوبته بالصمت . أما العذراء مريم فلم تطلب لا من الرب
و لا من ملاك الرب أي علامة .

ت- إيمان بلا خوف: كثيرون من الذين رأوا الرب أو تكلموا معه أصابهم الخوف مثال أشعياء النبي (أش
٥: ٦), و منوح و زوجته (قض ١٣: ٢٣). أما العذراء فلم تؤمن لأنها خافت بل آمنت و هي في كامل ثباتها
و قوتها. حقاً لقد اضطربت بعض الشيء. كان في قلب مريم خوف الله و لكن لم يكن في قلبها خوف من
الله لأن المحبة الكاملة تطرد الخوف الى خارج ١ يو ٤: ١٨.

أخيرا لنحاول الاقتداء بأنا مريم العذراء بحكمتها و طاعتها و تواضعها و بايمانها و لنحترمها و نعطيها حقها كوالدة الاله كما
قالت "منذ الآن جميع الأجيال تطوبني" والسبب ان الله نظر الى اتضاعها لوقا ١: ٤٨. و نصنع كما صنعت فهي جعلت
المسيح المولود منها الأول و الآخر وان يتربع على عرش قلبها . وكما قالت "تعظم نفسي الرب و تبتهج روجي بالله مخلصي.
لوقا ١: ٤٦.